
المرأة الأولى
دروس وعبر
وقفات ثمان
حول قصة خلق آدم عليه السلام
إعداد
عبدالله بن سليمان بن محمد المرزوق
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[الفاتحة: ١-٣] وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى الأمين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم نورًا وهدى للناس، وأمر سبحانه بتدبر آياته، فقال عزَّ من قائل: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤] وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في

قراءة لا تدبر معها»[١] وقال ابن القيم رحمه الله في قصيدته النونية .[٢]

فتـــدبر القـــرآن إن رمـــت فـالخير تحت تـدبر القـرآن

والقرآن الكريم مليء بالدروس والعبر التي تفيد المسلم في عاجلته وآجلته، وحري بنا أن نقف عند آيات كتاب ربنا، ونتدبرها ونستلهم منها بعض الدروس والعبر، ونطبقها في واقع حياتنا حتى تستقيم أمورنا، وتصلح أحوالنا، ونكون قد سلكنا الطريق الموصل إلى بر السلامة وساحل الأمان، والذي ينتهي بسالكه إلى رضوان الله والجنة، جعلنا الله جميعًا من أهلها.

وهذه الرسالة محاولة للوقوف عند بعض آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى واستخلاص بعض الدروس منها، وقد اجتهدت فيها ما وسعني الاجتهاد فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وأحمده على ذلك حمدًا كثيرًا، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه حيث لم أتعمده.

([1]) انظر كتاب العلم لأبي خيثمة رسالة ضمن كتاب الإيمان (١٤٣).
([2]) القصيدة النونية/ فصل في التفريق بين الخلق والأمر: (٤١).

والكلام في هذه الرسالة موجه في الغالب للمرأة المسلمة حيث خاطبتها به عبر إحدى المحاضرات.

أل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها وسامعها إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه

عبدالله بن سليمان المرزوق

القصيم/ بريدة

في ٢٢/ ١٢/١٤١٤هـ

خلق آدم وموقف إبليس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام وفقنا للقول السديد، والعمل الصالح الرشيد. يا رب العالمين.

لقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده، وأكرمه وأمر ملائكته بالسجود له، ﴿ **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ [الأعراف: ١١] ﴿ **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقد احتج إبليس لعدم السجود بأنه خير من آدم، إذ خلق هو من نار، وخلق آدم من طين، والنار في زعمه خير من الطين ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [الأعراف: ١٢]

ولقد قال أحد المنحرفين الضالين:

إبليس خير من أبيكم آدم
فتبينوا يا معشر الأشرار
إبليس من نار وآدم طينة
والطين لا يسمو سمو النار

فرد عليه أحد الشعراء بقوله:

إبلـــــيس مــــن نــــار وآدم طينــــة
والنــــار لا تــــسمو ســــمو الطــــين
النــــار تفنــــى نفــــسها ومحيطهــــا
والطــــين للإنبــــات والتكــــوين

وقد أقسم عدو الله إبليس على أن يسعى جهده لإضلال بني آدم وإبعادهم عن الصراط المستقيم ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]

وقد طرد الله إبليس من رحمته وأهبطه إلى الأرض وتوعده ومن اتبعه بالنار، وأسكن آدم وزوجه الجنة، وأمرهما بالأكل من حيث شاءَا ، ثمر الجنة، ولكنه نهاهما عن الأكل من شجرة معينة فيها، ابتلاءً منه سبحانه وامتحانًا: ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٨، ١٩] ومن هنا بدأ ـيطان لعنه الله يحاول أن يغريهما بالأكل من الشجرة التي نهيا عن

الأكل منها ﴿ **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *** ﴾ [الأعراف: ٢٠، ٢١] فصدق الأبوان عليهما السلام، وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ﴿ **بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣].

وبعد أن عصيا أمر الله، وأكلا من الشجرة أهبطهما الله عز وجل إلى الأرض وتاب عليهما إذ تابا إليه وأنابا، كما قال تعالى في سورة طه ﴿ **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

هذا عرض سريع لقصة أبينا آدم عليه السلام مع عدو الله إبليس لعنة الله، ونريد بعد هذا العرض أن نقف عدة وقفات، سائلين الله عز وجل أن ينفعنا بما نقول وما نسمع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الوقفة الأولى:

لقد أكرم الله تعالى آدم عليه السلام .. أكرمه حين خلقه بيديه وأكرمه حين أمر الملائكة بالسجود له، وأكرمه حين عاقب إبليس الذي أبى أن يسجد له، وأكرمه حين أسكنه جنته، وأكرمه حين تاب عليه بعد الوقوع في المعصية، والجنس البشري كله مكرم ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وجدير بمن كرمه الله تعالى كل هذا التكريم، وفضله كل هذا التفضيل أن يحمد الله عز وجل ويشكره ويؤمن به ولا يكفره، جدير به أن يطيع ربه عز وجل الذي لا يريد به إلا الخير في دنياه وأخراه، وأن يستعمل نعم الله تعالى في طاعته، وأن يستعمل جوارحه فيما يرضي الله عز وجل .. يستعمل نعمة السمع في طاعة الله، فلا يسمع إلا ما يحل له سماعه، ويبتعد عما يحرم عليه سماعه من الغيبة، والأغاني المحرمة ونحوها، ويستعمل نعمة البصر في طاعة الله تعالى فلا ينظر إلا إلى ما يحل له النظر إليه، ويبتعد عما يحرم عليه، ويغض بصره امتثالاً لأمر الله سبحانه في قوله: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** *

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.. ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهكذا سائر الجوارح، ويستعمل نعم الله الأخرى كذلك في طاعة الله سبحانه، وخاسر كل الخسارة من يستعمل جوارحه ونعم الله الأخرى في معصية ربه عز وجل، إن هو لم يتب إلى الله ومات على ذلك: ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦] ،إن عليك وقد أكرمك الله عز وجل ألا تهين نفسك وتوردها موارد الهلاك، وهل ثمة إهانة للنفس أعظم من أن تجعلها تعذب في النار؟

وإن أعظم تكريم تكرم به نفسك أن تحافظ على فعل الطاعات وتجتنب المعاصي والمنكرات.

إن أعظم كرامة للنفس أن تعمل ما في وسعك لنيل رضا ربك عز وجل، وأن يكون مآلك إلى جنات النعيم حيث ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧].

الوقفة الثانية:

أن الشيطان لعنه الله عدو لنا ظاهر العداوة، وقد ابتدأت عداوته منذ خلق آدم عليه السلام، فالشيطان لا يريد بنا الخير على الإطلاق، وموقفه من أبينا آدم وزوجه حواء واضح، فقد سعى عدو الله حتى أخرجهما من الجنة.

ولئن كانت عداوة الشيطان لنا واضحة ومعروفة، ونقول دائمًا بأن الشيطان عدونا اللدود فمن المهم جدًّا أن نتبع هذه المعرفة النظرية بخطوة عملية، وأن نتبع القول بالفعل فنتخذه عدوًّا، وذلك بعدم طاعته، وعدم الاستجابة لوساوسه وإغراءاته؛ ولهذا يقول الله عز وجل: **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُو فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** [فاطر: ٦]. فلا يكفي أن نعرف أن الشيطان عدو لنا بل لا بد من اتخاذه عدوًّا، حتى يسلم للمسلم دينه، وينجو من عذاب السعير الذي يدعو الشيطان حزبه ليكونوا من أصحابه.

وقد جاء التعقيب القرآني على قصة آدم التي عرضنا لها قبل قليل، يحذر بني آدم، كل بني آدم، من فتنة الشيطان وإغوائه **يَا**

بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ [الأعراف: ١٦، ١٧].

إن المعركة مع الشيطان معركة جادة، حيث يصر الشيطان على ملاحقة الإنسان في كل أحواله دون فتور أو ملل **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ *** [الأعراف: ١٦، ١٧].

إن المعركة مع الشيطان معركة ضارية مستمرة، حيث يسعى الشيطان لإضلال بني آدم، ويتعاون مع شياطين الإنس لتحقيق هدفهم، وهو إخراج الناس من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال، ومن الاستقامة إلى الانحراف **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** [الأنعام: ١٤٢].

فلنكن جميعًا على حذر من هذا العدو المتربص، ولنعلم أن الذي يعصم المسلم والمسلمة - بإذن الله - من الشيطان هو سك بهدي الله والاستقامة على أمره، وسؤال الله عز وجل أن

يجنبنا شر الشيطان وإضلاله وإغواءه «اللهم لا تجعل للشيطان علينا سبيلاً يا رب العالمين».

ثم إن علينا جميعًا - رجالاً ونساءً - واجبًا مهما وهو أن نقوم بالإصلاح قدر ما نستطيع، فإذا كان الشيطان يسعى للإضلال والإفساد، فلنسع نحن للإصلاح والهداية والإرشاد، فهذا أمر منوط بأعناق الجميع، والله تعالى قد أثنى على عباده المؤمنين، رجالاً ونساءً لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

لتقم الأخت المسلمة بهذا الواجب، وليكن للأم المسلمة دور بي مع أبنائها وبناتها وأهل بيتها، وليكن للمعلمة دور إيجابي مع ذاتها وطالباتها، وليكن للطالبة دور إيجابي مع زميلاتها، وللأخت مع أخواتها، ولكل واحدة مع قريباتها وصديقاتها وجاراتها - دور في

المناصحة والتوجيه والبيان، فإن المرأة تطلع من أحوال النساء على ما لا يطلع عليه الرجال، ولأن يهدي الله بك امرأة واحدة خير لك من أعظم المال وأغلاه وأنفسه. وقد أخبر النبي ﷺ أنه: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» رواه مسلم [1].

---

(1) مسلم: كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة: (٢٠٦٠/٤).

الوقفة الثالثة:

إن من أخطر الأساليب التي اتبعها الشيطان لإغواء آدم وزوجه أنه جاءهما بمظهر الناصح الذي يريد لهما الخير، جاء وكأنه حريص على مصلحتهما، وكأنه يريد أن يدلهما على ما يضمنان به الخلود في الجنة، فأغراهما بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها: ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠] ثم زاد على ذلك بأن أقسم أنه لهما ناصح: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *﴾ [الأعراف: ٢١] ولهذا كله فقد صدقه الأبوان في مزاعمه وأكلا من تلك الشجرة المحرمة عليهما، فكانت النتيجة أن أهبطهما الله إلى الأرض.

هكذا أظهر إبليس نفسه بمظهر الناصح المشفق وهكذا يظهر كثير من أعداء الإسلام والمسلمين أنفسهم بمظهر الناصح حتى يضللوا ويغروا من لا يعرف حقيقتهم ومسلكهم. فهذا فرعون، وهو من هو ضلالاً وتجبرًا وظلمًا، قتل الرجال، واستحيا النساء والأطفال، وادعى الربوبية ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] وادعى الألوهية فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] وسعى في الأرض فسادًا.

ومع كل هذا فإنه لما أن جاء موسى عليه السلام بدعوة الحق والإيمان وتوحيد الله عز وجل، وليرفع الظلم عن المظلومين، فماذا كان موقف فرعون؟ لقد أظهر نفسه بمظهر الناصح المشفق على قومه أن يصيبهم سوء بسبب دعوة موسى فقال: ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

ففرعون المفسد في الأرض يزعم أنه يخشى أن يظهر الفساد في الأرض بسبب دعوة موسى عليه السلام ولهذا يستأذن قومه في أن يقتل موسى، وكأنه بحاجة إلى إذنهم وسماحهم ثم قال فرعون ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] وكذب عدو الله في قوله: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ فلقد كان موقنًا بصدق موسى عليه السلام ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] وكذب عدو الله في قوله: ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ فقد كان إنما يهديهم إلى سبيل الضلال والغواية والهلاك والبوار والعذاب الشديد في النار: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

إن على كل مسلم ومسلمة أن يستفيدوا من هذه الدروس وأن يعلموا أن أعداء الإسلام، وهم يحاربون الإسلام، قد يخدعون من لا يعرف مسالكهم حتى يظهرون أنفسهم بمظهر الناصح المشفق ذلك نهم لو أبرزوا هويتهم الحقيقية، وأبانوا عن أهدافهم بصدق وأظهروا أنفسهم بمظهر من يريد الشر، ويحارب الخير وأهله - لما قبل الناس منهم ولو وجهوا بالمحاربة والتمنع الشديدين، ولزاد ذلك من تمسك المسلمين بدينهم، واعتصامهم بحبل الله المتين، وهذا ما لا يريده أولئك الأعداء، فإنهم يريدون أن يخدعوا المسلمين كما خدع إبليس أبانا آدم عليه السلام حين أقسم له أنه له من الناصحين، فوقع في معصية الله، وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها.

فقد يوجد في بعض المجتمعات الإسلامية من يسعى تغريب المجتمع وإبعاده عن الإسلام وتشريعاته فيأتي باسم التمدن والتحضر والرقي بالمجتمع والنهوض به .. ونحو ذلك فيقبل منه كثير من الناس في مجتمعه هذا الكلام، ولا يقفون في وجهه لا يعارضونه، لأنه حسب ظنهم يسعى لخيرهم وحريص على مصلحتهم، ولكنه لو جاء باسم العلمنة والتغريب، والتبعية المقيتة لأعداء الله، وحرب

الإسلام ونبذ تعاليمه ا قبل منه هذا الكلام، ولعورض معارضة شديدة.

. يوجد في بعض المجتمعات الإسلامية من يسعى لإخراج المرأة من بيتها ومن حيائها وعفافها، ويدعوها إلى العري والفجور، والتبرج والاختلاط وممارسة الفساد، ولكنه لا يستطيع أن يظهر **نفسه** يريد أن تحدث هذه الأمور في المجتمع، ولو جاء كذلك لواجه معارضة شديدة من الغيورين والغيورات، ولهذا يظهر نفسه بمظهر الناصح، ويتباكى على وضع المرأة المزري بزعمه فيدعو إلى رفع الظلم ها، وإعطائها حقوقها وإلى تشغيل نصف المجتمع المعطل ويطلب تشغيل رأة في مجال بدلاً ن أن يبقى المجتمع يتنفس برئة واحدة - كما يقول - ويدعو المرأة إلى إثبات ذاتها، وممارسة حريتها دون قيد أو شرط.

ا حدث الضياع والانحراف والانحدار الرهيب في المجتمعات الغربية إلا بعد أن رفعت مثل هذه اللافتات البراقة، ثم كانت النتيجة ما نسمع عنه من انحلال وضياع، حتى وجد من الغربيين أنفسهم من يدعو على نفسه بالويل والثبور حين فتح باب الانحراف على مصراعيه، وإن كانت البداية البراقة قد خدعت السذج والمقهورين.

وحتى يتبين حجم الضياع الذي يعيشونه بسبب ذلك أذكر الأمور التالية [١].

نشرت مجلة التايم أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث الضرب من جانب الزوج كل عام، وأن ألفين إلى أربعة آلاف يتعرضن للضرب الذي يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلاثة وثلاثين بالمائة من وقتهم، أي ثلث وقتهم، يقضونه للرد على مكالمات العنف المنزلي.

نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م، أن أربعين في المائة من حوادث قتل النساء إنما هو بسبب المشكلات الأسرية، وأن خمسًا وعشرين بالمائة من محولات الانتحار التي قد تقدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي.

بلغ عدد المواليد غير الشرعيين في بريطانيا عام ١٩٨٦م: مائة وواحدًا وأربعين ألف مولود، وهذه هي الإحصائيات الرسمية.

---

(1) ذكر بعض هذه الإحصائيات الأستاذ/ محمد رشيد عويد في كتابه رسالة إلى حواء (١: ٨٩، ٩٢، ٩٣).

تذكر إحدى الدراسات أن أربعة وثمانين بالمائة من رجال أمريكا المتزوجين، وأربعين بالمائة من نسائها المتزوجات لهم صلات جنسية قبل الزواج، وأن أربعين بالمائة من المتزوجين، وخمسًا وعشرين بالمائة من المتزوجات على صلات جنسية بغير أزواجهم.

أذاع الراديو الفرنسي عام ١٩٧٧م إحصائية ذكر فيها أن في فرنسا خمسة ملايين امرأة متزوجة على علاقة جنسية بغير زوجها وقد ردت المحكمة الفرنسية دعوى قدمها زوج بحق زوجته التي تخونه، وبعد تقديم الدليل والإثبات قالت المحكمة: ليس من حق الزوج أن يتدخل في الشؤون الخاصة بزوجته.

في إحصائية ذكرها التلفزيون الفرنسي أن عدد الأمهات العازبات[1] يصل إلى مليون امرأة، وأن حوادث الاغتصاب تصل إلى اثنين وعشرين ألف حادث في السنة وتقول المصادر الإحصائية الرسمية في ألمانيا بأن ثلث أطفال ألمانيا هم من مواليد المعاشرة دون الزواج، وأن أربعًا وثلاثين بالمائة من حالات الزواج السنوية تنتهي بالطلاق. وأن حوالي مائة وخمسة وعشرين ألف طفل يفقدون أسرهم سنويًّا

(1) أي إنهن غير متزوجات ومع ذلك فلهن أولاد. فمن أين جاءهن الأولاد؟

بسبب الطلاق.

تناقلت وسائل الإعلام الألمانية مؤخرًا عن محاكمة رجل وزوجه، ذ أسقطت النيابة العامة عددًا من الاتهامات الخطيرة ا□وجهة إليهما بعد اعترافهما حسب نصيحة محامي الدفاع اعترافًا تفصيليًا بجريمة واحدة، وهي اغتصاب الرجل لفتاة في الثامنة من عمرها بينما كانت زوجته تساعده بالإمساك بالفتاة لمنعها من الحركة. ومن ا□دير بالذكر أن الفتاة الضحية كانت هي الشقيقة الصغرى للزوجة المجرمة.

وصل عدد حوادث الاعتداء الجنسي على الأطفال في ألمانيا إلى زهاء سبع عشرة ألف حادثة في السنة. وتقول الدائرة الا□ادية للجنايات: إن هذا الرقم يحصر فقط ما يصل إلى دوائر الشرطة، وإن الرقم الحقيقي يربو على مائتي ألف حادثة، أي حادثة واحدة في أقل من ثلاث دقائق على مدار العام. وتقول مصادر أخرى: إن الرقم أقرب إلى ثلاثمائة ألف حادثة.

تعرض طفل يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة يعيش مع أمه العازبة في منطقة غرب فرنسا إلى الاعتداء عليه بالفاحشة من رجال يتعاطون علاقات غرامية مع أمه، وذلك □وافقتها.

انتشرت في الغرب ظاهرة ما يسمى بسفاح القربى أو الزنا بين الأقارب.

وتروي الكتب التي تعالج مشاكل الطفولة قصصًا مروعة عن هذه الجريمة النكراء، ومن ذلك أن طبيبة مطلقة تعرفت على دبلوماسي ومارست معه الفاحشة، وتقول هذه الطبيبة المثقفة بأن صاحبها أقنعها بتشريك ابنتها التي تبلغ من العمر أربع سنوات في إباحيتهما. وبالفعل كن ذلك الدبلوماسي من الاعتداء على البنت بحضور أمها.

ة أخرى يختلي بها أبوها في الوقت الذي تكون أمها في العمل، وتبقى على هذه الحالة سنوات عدة دون أن تعلم أمها بذلك.

وفتاة ثالثة تذهب إلى القاضي تشتكي اعتداء زوج أمها عليها، ـبها القاضي ويرجعها إلى أهلها حيث تتعرض إلى الاعتداءات الجنسية من جديد إلى أن تفر من البيت وتعيش حياة التشريد [1].

ذكرت الصحافة الأمريكية أن عدد الفتيات اللواتي كانت لهن

([1]) انظر مجلة المجتمع/ عدد (١١٣٠).

علاقة جنسية بآبائهن يتراوح بين اثني عشر مليون وخمسة عشر مليون فتاة.

نشرت الهيرالد تريبيون تقريرًا يفيد أن عشرة با□ائة من الأسر الأمريكية □ارس نكاح ا□ارم، وأن عدد الذين □ارسون الشذوذ الجنسي في أمريكا ويتباهون به يزيد على عشرين مليونًا.

بلغ عدد المصابين بالسيلان مائتين وخمسين مليونًا في العالم، وعدد ا□صاب□ □رض الكلاميديا ا□نسي يزيد على أربعمائة مليون، وبالزهري يزيد على خمسين مليونًا، أما الإيدز فإنه على الرغم من تحفظ معظم الدول التي ينتشر فيها هذا الوباء فمن المؤكد أن عدد ا□صاب□ به يعد با□لاي□.

هذه بعض الإحصائيات التي تدل على مدى الضياع والشقاء ي وصلت إليه المجتمعات الغربية □ا فتح باب ا□ريات على مصراعيه، وما ينتظر الكافرين والظالمين في الآخرة أشد. وصدق ا□ العظيم إذ يقول:

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]. لقد تعالت صيحات الخطر

من ضع المأساوي الذي تعيشه المجتمعات الغربية، وضج كثير من عقلاء الغرب من الحالة المخزية التي وصلوا إليها، ولهذا فإنهم ينصحون بنات قومهم بألا يسرن مع التيار الجارف، ويتمنون أن تكون حالهم كحال ا□سلم□ ا□افظ□.

تقول الكاتبة آرفون: «لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن بالمعامل، حيث تصبح المرأة ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد ا□سلم□ فيها ا□شمة والعفاف والطهارة».

وتقول أستاذة في إحدى الجامعات في بريطانيا وهي تودع طالباتها بعد أن قدمت استقالتها: «ها أنا قد بلغت سن الست□ من عمري، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري. وحققت عملاً كبيرًا في نظر المجتمع. لقد حصلت على شهرة كبيرة، وعلى مال كثير.. ولكن .. هل أنا سعيدة بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟ لا. إن وظيفة ا□رأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكون أسرة. ي مجهود تبذله بعد ذلك لا قيمة له في حياتها بالذات؟».

وتقول الدكتورة إيبرين: «إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا،

وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق» ثم تواصل قائلة: «إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه».

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: «إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقًّا إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة».

وقالت لادكون: «علموا النساء الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد» وهكذا تتعالى صيحات بعض الغربيين منذرة بالخطر الكامن من وراء التحرر المزعوم، في الوقت الذي جد فيه بعض من المسلمين ممن يريدون أن يسير المجتمع على خطى الغرب، وأن يقع فيما وقعوا فيه من ضلال وانحراف وانحلال، وسلكوا في سبيل تحقيق هذه الغاية المشؤومة مختلف الوسائل والسبل.

فحذار- أيتها المسلمة- حذار من الاستماع إلى أصوات الساعين للإفساد، اللابسين جلود الضأن المتباكين على وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية.

ولتتذكر الأخت المسلمة أنه إذا وقع عليها خطأ من قبل بعض

المسلمين، فإن الحل ليس في نبذ تعاليم الإسلام والتنكر له، واستبدال ما عند الغرب بالإسلام، فإن الإسلام لا يتحمل أخطاء الآخرين، وإنما كل يتحمل خطأه، وينسب إليه، والإسلام بريء من كل أخطاء الناس وتصرفاتهم المخالفة لتعاليمه.

الوقفة الرابعة:

لقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيديه تكريمًا له، وأمر ملائكته بالسجود له بيانًا لفضله ومكانته وأسكنه جنته، ومع كل هذا فقد وقع آدم عليه السلام في معصية الله، ولكنه لم يصرَّ على معصيته كما أصر إبليس، بل سرعان ما تاب إلى الله تعالى فتاب الله عليه وهدى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

ومن هنا نستفيد أن الإنسان مهما بلغ من الإيمان والتقوى والعقل، فإنه معرض لأن يقع في المعصية، والمعصوم هو من عصمه الله تعالى، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «.. فلم يجعل الله لعدوه سلطانًا على عباده المؤمنين، فإنهم في حرزه وكلاءته، وحفظه وتحت كنفه، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل فهذا لا بد منه، لأن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب. ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز فلا بد من غفلة. ولا بد من شهوة، ولا بد من غضب، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بفراشة الحلم ومن عقله

في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة، ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها، وأن تلك الواقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كله»(١).

إذًا فما دام آدم عليه السلام قد وقع في معصية الله، فإن ابن آدم قد يقع فيها كما وقع فيها أبوه من قبل، بل قد يقع في الفاحشة. ولكن المؤمن الحق إذا وقع في شيء من ذلك فإنه لا يصر على معصيته، بل يبادر بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل، ومن تاب تاب الله عليه، والنبي ﷺ يقول: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»(٢) ، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي إذا هموا بفعل المعصية أو وقعوا فيها تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده، فآبوا وأنابوا واستعاذوا بالله عز وجل ورجعوا إليه من قريب، فإذا هم مبصرون قد استقاموا وصحوا مما كانوا

---

(1) الوابل الصيب (١٩- ٢٠).

(2) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد حسَّن الحديث الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٧١/٤).

فيه[1].

ويقول عز من قائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥] إذًا فهم قد يظلمون أنفسهم بفعل المعاصي، بل قد يفعلون الفاحشة، ولكن ميزتهم أنهم: ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فما هو ثوابهم وجزاؤهم على سرعة التوبة والإنابة والرجوع إلى الله وعدم الإصرار على المعصية؟ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٦].

فهكذا فليكن المؤمن والمؤمنة .. يحرص الواحد على اجتناب

---

(1) انظر تفسير ابن كثير (٥٣٨/٣).

العاصي، ولكن إذا ضعف يومًا من الأيام ووقع في المعصية فليبادر بالتوبة ما دام في العمر مهلة، وفي الوقت متسع، قبل أن يغلق باب التوبة، وقبل أن يحل بالإنسان أجله فيتمنى الرجعة إلى الدنيا حتى يتوب ويعمل صالحًا، ولكن هيهات هيهات، حيل بينه وبين العمل، وواجه جزاء العمل الذي كان يعمله: إن خيرًا فخير. وإن شرًّا فشر.. ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

إن هذا الدرس درس مفيد جدًّا .. فمن ذا الذي لم يهم بفعل معصية قط؟ أم من ذا الذي لم يقع في معصية الله عز وجل؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨] ويقول الله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى

رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٩].

الوقفة الخامسة:

لقد □دثنا قبل قليل[1] عن أسلوب من أساليب الشيطان لعنه ا□ - في إغواء الإنسان، هو أن يأتيه بثوب الناصح المشفق الذي يريد له الخير.

وها هنا أسلوب آخر من أساليب الشيطان، فإنه أحيانًا إذا أراد إغواء الإنسان وإضلاله، فإنه قد لا يأمره بفعل المعصية الكبيرة مباشرة لعلمه أنه قد لا ينساق معه في ذلك، وإنما يأمره بفعل المعصية الصغيرة ويزينها له، ويهونها عليه، فإذا ما قارفها، قادته هذه المعصية إلى معصية أخرى أكبر منها، وهكذا حتى يوقعه في الموبقات وا□هلكات.

وهكذا أيضًا يفعل شياط□ الإنس ح□ يريدون إغواء الإنسان. فكم من شاب وقع في انحرافات خطيرة، وكانت بدايته في الانحراف يسيرة، فما تزال تتسع الزاوية، ويعظم الانحراف حتى يكون ممن بلغ في الانحراف مدى بعيدًا، وأغرق في سلوك سبل الضلال والهلاك.

كم من مدمن للمخدرات كانت بدايته سيجارة قدمها له قرين

---

(1) تنظر الوقفة الثالثة.

من قرناء السوء، فأخذها المسكين في البداية حياءً، **وكم من مدمن** مشاهدة لأفلام الدعارة كانت بدايته سماع أغنية .. **وهكذا.**

وكم من فتاة كانت بدايتها مع الانحراف والضلال يسيرة - في نظرها - ثم زاد هذا الأمر وهان عليها فعل الموبقات الكبيرة، بعد أن كانت في البداية تستعظم فعل المعصية الصغيرة، ولهذا يقول أحمد شوقي:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء
نظرة فبسمة فسلام فكلام فموعد فلقاء

هكذا كانت البداية سهلة .. انخدعت بثنائهم عليها وعلى حسنها وجمالها، ثم تبع ذلك نظرة، ثم تبع النظرة بسمة، وتبع البسمة السلام، فالكلام ثم الموعد فاللقاء.

إن بعضًا من الشباب قد يتبعون مثل هذا الأسلوب الماكر والخداع، إذا أرادوا إيقاع فتاة غريرة في شباكهم، فكم من ورقة ألقاها شاب على فتاة وهي في طريقها فيها من ألفاظ الحب والغرام لتحبب ما يندى له الجبين، فاغترت المسكينة بهذا الكلام وصدقته حتى وقعت فريسة له، وكم من معاكس في الهاتف استطاع بكلامه المعسول أن يغرر بالفتاة المغفلة الغريرة حتى أوقعها في المنكر، ثم تخلى

منها بعد أن قضى على عفافها وطهرها، وتركها نهبًا للعذاب النفسي الرهيب، وتأنيب الضمير إن كان قد بقي فيه حياة.

ولقد ذكر صاحب رسالة «أختي المسلمة!! احذري الذئاب» أن فتاة تعرفت على شاب عن طريق الهاتف، وأصبحت بينهما علاقة، وطال الأمر بينهما حتى حصل ما سماه بالحب. ثم طلب منها الخروج فتحرجت كثيرًا ثم خرجت معه، فلما ركبت معه في السيارة كان يدخن سيجارة مخدرة فما استفاقت إلا وهي عند باب بيتها، وقد عبث بكرامتها، وامتلأ بولد الزنا حشاها. ثم ما هي إلا أن قتلت نفسها هربًا من الفضيحة والعار [١].

وهذه فتاة خرجت مع صديقها وخلت به، وخدعها بكلامه ، بأن هذا أمر ترفيهي، فأخذها وذهب بها إلى الفلاة، فاستنجدت به أن يرجعها فرفض ثم .. [٢] ثم كانت الكارثة.

فلتحذر المسلمة كيد شياطين الإنس والجن، ولتحذر من التعرض لأسباب الفتنة ومن المخالفات الشرعية، وإن كانت صغيرة،

([1]) رسالة أختي المسلمة!! احذري الذئاب/ تأليف أبي عمر سالم العجمي (٦).
([2]) الرسالة السابقة (٧).

فإنها قد تقود إلى ما هو أكبر منها، واعتبري بالقصة التالية:

اعتادت إحدى الفتيات الجلوس عند الهاتف وقضاء وقت طويل بالمكالمات مع بعض الشباب، وما كانت تفكر بفعل الفاحشة، ولكنها كانت تفعل ذلك للتسلي بزعمها و□زح ولتقضي على وقت الفراغ الطويل الممل الذي كانت تشكو منه، ثم تزوجت .. وبعد زواجها استمرت على هذه العادة الذميمة، ولم تستطع أن تقطعها لأنها صارت تجري في دمها وعروقها .. استمرت على هذا الفعل حتى اكتشف ذلك أخو زوجها، فسجل عليها إحدى مكالماتها مع شاب من الشباب. فما كان منه إلا أن استخدم هذه المكالمة المسجلة كورقة ضغط على تلك المرأة المسكينة، وهددها أن يفضحها عند زوجها وهو أخوه إن لم تمكنه من نفسها، وتحت التهديد والوعيد والخوف من أن يفضحها عند زوجها، مكنته من نفسها.

ولم يكتف الغادر الأثيم بذلك، بل صار يستخدم هذه المكالمة المسجلة كثيرًا ويهدد بها تلك المرأة، التي لم تحسن التصرف، كلما أراد لفاحشة، بل لقد طلب ذلك المجرم من زوجة أخيه أن تمنح نفسها وجسدها لصديق من أصدقائه مهددًا إياها بال□كال□ة نفسها، و□ت التهديد وافقت على ذلك، ومكنت صديق أخي زوجها من

سها والعياذ بالله، حتى كانت نهايتها الموت .. ماتت متلطخة بالفاحشة واقعة في كبيرة من كبائر الذنوب.

قاتل الله ذلك اللئيم الخائن الغادر الذي لم يراع حرمة عرض أخيه، ولم يراع قبح ما فعل من هذه الجريمة النكراء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى مع الكبائر الكبيرة فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١].

فلتنظر الأخت الكريمة كيف وصل الأمر رغم أن بدايته كانت بسيطة في نظرها.

ولتتذكر كل فتاة أن أي رجل يريد أن يتزوج، فإنه لن يبحث إلا عن الفتاة الطاهرة العفيفة، المصونة الأبية، وسيضرب صفحًا عن كل فتاة يسمع عنها ما لا يرضى، أو يعرف عنها سلوكًا مشينًا.

وقد ذكر الأستاذ محمد رشيد عويد في كتابه «رسالة إلى حواء» أن شابًّا كان متحرِّرًا من بعض مفاهيم الأخلاق والقيم، يدعو إلى انطلاق الفتاة واختلاطها بالشباب، وحريتها في فعل ما تريد والذهاب حيث تشاء، وكان يمضي كثيرًا من أوقات فراغه في السهرات والرحلات مع كثير من النساء والفتيات.

يقول: جاءني يقول لي: لقد قررت الزواج، قلت: حسنًا تفعل. ولكن .. هل خطبت؟ قال: أريد أن أعتمد عليك في هذا الأمر لتدلني على من تعرف من أسر عندها فتيات مناسبات، قلت: عجبًا إنك تعرف من الفتيات أضعاف ما أعرف. قال: أجل، ولكن ليس بينهن واحدة تصلح للزواج، قلت: وكيف تريدها؟ قال: أن تكون فتاة مهذبة ذات أخلاق عالية متعلمة، من أسرة محترمة، وعلى قسط من الجمال.

ثم يعلق المؤلف قائلاً: هذا الشاب نموذج لكثير من شباب مجتمعنا - مجتمع المؤلف - يدعون الفتاة إلى التحرر والانطلاق والتحلل ليعيشوا شبابهم، ومتعوا نفوسهم، فإذا أرادوا الزواج زهدوا

يعرفون من الفتيات، وبحثوا عن المؤدبات المحتشمات إنهم يناقشون الأمر مناقشة يسيرة .. ما دامت هذه الفتاة تخرج معي اليوم

دون أن يربطني بها رابط، فما أدراني أنها لا تخرج مع غيري غدًا؟

وإذا كان لا بد من حساب الربح والخسارة، ما دمنا في عصر الاقتصاد والتجارة، فإن الشاب لن يخسر شيئًا (أقول: دنيويًا) وتكون الخسارة كلها على حساب الفتاة المسكينة المغرر بها.

ثم يقول: «احذريهم أختي الكريمة .. احذري بعض الشباب الذين هم أقرب ما يكونون إلى الذئاب»[1] انتهى كلامه.

ولقد قال القائل وأحسن:

إن المعـــاكس ذئـــب يغـــري الفتـــاة بحيلـــه

إن بعض الشباب يعملون مثل الشيطان الذي يغري الإنسان بالكفر ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي

---

(1) رسالة إلى حواء الجزء الأول (٨٠، /٨١).

أخافُ اللهَ واللهُ شديدُ العقاب [طه: ١٢٧].

فهكذا يتبرأ الشيطان من أتباعه في الدنيا وفي الآخرة رغم أنه يزين لهم الكفر والضلال والانحراف، وهكذا بعض شياطين الإنس يوقعون فريستهم في لفساد ثم يتخلون عنها بعد أن يشبعوا شهواتهم ن عنها، ويتركونها تعاني ما تعاني من ويلات وعذاب وعار

ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى [طه: ١٢٧].

الوقفة السادسة:

إن الحياء من التعري وانكشاف السوءة أمر فطري في الإنسان، ولهذا نجد أن أبوينا آدم وحواء عليهما السلام حين بدت لهما تهما بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، سارعا لتغطيتها وسترها ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف السوءة وظهور العورة، وتحرص على سترها، أما من انتكست فطرته وقل حياؤه، وغار ماء وجهه، فإنه لا يبالي بهذا الأمر كما هو حال كثير من الغربيين الذين ت بهم شياطين الإنس من اليهود وأشياعهم، فصاروا يتاجرون بأعراضهم، ولا يمانعون من أن يصوروا في أفلام الدعارة والجنس وهم عراة، وهم في أقبح وضع وأرزأ حال، وكما هو حال من يقلدهم ويسير على خطاهم في بلاد المسلمين.

وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا بعد عملية غسيل للمخ، ومسخ للفطرة، وتزيين للقبيح، وربط للإنسان بالعالم الأرضي، وحرص على الكسب من أي وجه كان. والذين يسعون لذلك هم من أعدى أعداء الإنسانية، وممن يسعون جاهدين لسلب إنسانية الإنسان،

وجعله كالإنعام، بل أضل سبيلاً.

ولقد امتنَّ الله تعالى على بني آدم بهذا اللباس الذي يستر العورة والسوءة، ويتزين به فقال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقد تستيقظ في الإنسان فطرته وإن كان قد أسف وانحدر إلى الهاوية، ووقتها يعلم ويدرك مدى الكيد الذي حيك له، من قبل أعداء البشرية، ومشيعي الفواحش، ومروجي كل فساد وانحراف.

ووقتها يدرك مدى الاستغلال البشع الذي وجه له .. كيف استغله الأشرار وهو في غفلته!!

ووقتها إما أن يعتزل ذلك المكان الآسن، ويعيش بعيدًا عن سواء أهل الفساد المسمى زورًا وبهتانًا بالفن، وإن عدم الإيمان فإنه قد ينتحر كما حصل للكثيرين من أمثلة الممثلة المشهورة مارلين مونرو التي حصلت على المال والشهرة مع الجمال، والتي كانت ضحية من ضحايا هوليود.

لقد انتحرت "مارلين مونرو" رغم كل ما تملكه مما يظنه بعض ممين من أسباب السعادة، انتحرت بعد أن شعرت بأنها فقدت

إنسانيتها، ولم يعد لها فائدة من البقاء في الحياة بعد أن فقدت كل أسباب السعادة الحقيقية - مع فقدها لإنسانيتها - وحصلت على الزائف من السعادة.

لقد وجد لها رسالة بعد انتحارها بخط يدها، وهذا الرسالة توجهها مارلين إلى كل فتاة تطلب نصيحتها في الطريق الأمثل إلى التمثيل، فقالت مارلين مونرو في رسالتها: « حذري المجد، احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أمًّا، إني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة لهي رمز سعادة المرأة .. بل الإنسانية».

وبعد انتحارها كتبت الهيرالد تريبيون التالي: «إنه الاستغلال البشع الذي لجأت إليه شركات السينما، وتميزت به، الإغراق في إبراز مفاتنها بشكل لا ذوق فيه من أجل الأغراض التجارية».

وكتبت النيويورك تايمز: «إن هوليود كانت تبيع روحها دون جسدها».

وكتب آخر: « إنسانة لم تطق استمرار العيش في قاذورات

تلك الحضارة فلم تجد مفرًّا من موتها اليومي إلا بالموت النهائي»[١].

إن الله عز وجل ينادي بني آدم ممتنًّا عليهم بنعمة اللباس الذي يستر العورات.

فيقول سبحانه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

حرص المسلمة على ستر عورتها التي أمرها الله عز وجل ورسوله ﷺ بسترها، ولتلتزم أمر الله وأمر رسوله، ولتلبس اللباس الشرعي الذي يستر منها ما أمر الشرع بستره، ولتعلم المسلمة أن الخير كل الخير في هذا الأمر .. هو خير لها، وخير للرجال، وخير للمجتمع كله، بدلاً من أن تظهر شيئًا مما لا يحل لها إظهاره، فيحصل بسبب ذلك من الشر والفتنة ما الله به عليم.

---

(1) انظر رسالة إلى حواء الجزء الأول (٨٤-٨٧).

الوقفة السابعة:

لقد اتصف إبليس لعنه ا - بعدد من الصفات الذميمة نذكر منها اثنت:

فأولاهما: الاستكبار عن الحق، فهو يرفض أمر الله عز وجل بالسجود لآدم، لأنه بزعمه خير منه، ولهذا فقد أهبطه الله عز وجل جزاء له على رفضه أمر الله واستكباره ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢، ١٣]، وفي سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

إذًا فإبليس قد استكبر، والمستكبر لا يقبل الحق، بل يرده، ولقد قيل بأنه لا يتعلم متكبر، لأنه يرى نفسه خيرًا من ذلك الإنسان الذي يعلمه ويريد أن يقوده لما فيه خيره وسعادته.

والصفة الثانية: لتي اتصف بها إبليس هي صفة الحسد، فلقد حسد إبليس آدم عليه السلام على هذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة

التي أعطاه الإله إياه، حسده إذ كيف - **بزعم إبليس** - يسجد لآدم **وهو خير** من آدم؛ لأنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، والنار - **بزعمه** - خير من الطين، وقد كان الأولى - **حسب زعمه** - أن يؤمر آدم بالسجود له، وكان أولى بهذه المكانة من آدم.

إن الحسد داء عضال يأكل الحسنات، ويكسب ويستجلب السيئات، يعيش الحسود مهمومًا مغمومًا كلما رأى أحدًا من إخوانه المسلمين قد أصاب خيرًا أو كسب أمرًا محمودًا يضيق صدره بذلك، ، زوال هذه النعمة عنه، وإذا أصابت أخاه مصيبة فرح بها واستبشر، وهذه صفة من صفات المنافقين الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ويقول سبحانه: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠].

وقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ والمؤمنين بالاستعاذة من شر الحاسدين فقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

* وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ * ﴾ [الفلق: ١-٥] ونهى رسول الله ﷺ عن الحسد .. هذا الخلق الذميم فقال: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[1].

وقال: «لا تحاسدوا» في أكثر من حديث [2].

وحري بالمسلم والمسلمة أن يحذرا هذا الداء العضال، ويجتنباه، ويسعيا للتخلص مما قد يوجد منه في النفس أحيانًا، فإن الحسد مرض فتاك يقطع أواصر المحبة، ويحل البغضاء، ويورث الهم للحاسد، ويصيبه بالغم والموت خصوصًا إذا صبر المحسود على كيد حاسده..

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

والحسد يجعل صاحبه يرمي المحسود بكل نقيصة، وإن كانت غير موجودة فيه..

---

(1) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها: (١٩٨٥/٤) والتناجش هو أن يزيد الإنسان في السلعة وهو لا يريد شراءها، ليقع غيره فيها.

(2) انظر مثلاً: صحيح مسلم/ الموضع السابق، والباب الذي بعده باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (١٩٨٦/٤).

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدًا وبغضًا إنه لدميم

وكذاك من عظمت عليه نعمة
حساده سيف عليه صروم

وترى اللبيب محسدًا لم يجترم
شتم الرجال وعرضه مشتوم

هذا مع أن الحسد سبب لانتشار فضائل المحسود:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيب عَرْفَ العود

ولقد بين النبي ﷺ أن الإنسان لا يؤمن إلا إذا أحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» رواه البخاري ومسلم [1].

---

(1) البخاري كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٥٦/١، ٥٧).
ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه =

كيف يرضى الحاسد أو الحاسدة أن تزول النعمة عن أحد من خوانهم المسلمين وهم لا يرضون هذا لأنفسهم؟ أفيحبون لأنفسهم ير ولا يحبونه لإخوانهم؟ أين هذا من قوله الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

إن على المسلم والمسلمة أن يربأا بأنفسهما عن هذا الخلق المشين، الذي يدل على خسة في الطباع وسوء في التربية، ودناءة في النفس، وضعف في الإيمان واليقين، وليرض كل مسلم بقضاء الله وقدره، وبما وهبه الله تعالى، فالله تعالى قد فضل بعض الملائكة على بعض، وبعض الناس على بعض، وجعل أفضلهم الأنبياء والمرسلين، وفضَّل بعض الأنبياء والمرسلين على بعض، وفضَّل بعض الشهور والأيام والليالي والساعات على بعض، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، وهو العليم الخبير ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٩٤].

ومن تفضيل الله تعالى الناس بعضهم على بعض أن يفضل هذا الإنسان بزيادة إيمان وتقوى وعبادة، ويفضل ذاك بمال أو شهرة أو

=

المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١).

جاه، ويفضل الآخر بعلم وحكمة، ويفضل تلك بجمال أو حسن خلق أو بعلم أو بتقوى أو بغير ذلك من الأمور. ألا وإن مما يدل على سوء الحسد أن الحاسد قد يتمنى أحيانًا أن تزول النعمة عن أخيه المسلم حتى ولو لم يحصل هو من الخير شيئًا، فحسبه أن يشفي غليل صدره بزوال نعمة أخيه، وكفى.

فليتق المسلم ربه عز وجل وليحذر من هذا الداء الخطير، وليحب لإخوانه من الخير ما يحبه لنفسه، وليكره لهم من الشر ما يكرهه لنفسه، وليحفظ لسانه من تجريح إخوانه المسلمين ورميهم بالنقائص حسدًا منه لهم إذا وهبهم الله علمًا، أو أعلى لهم شأنًا، أو رفع لهم ذكرًا وبوأهم في القلوب مكانًا، فإن ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤].

وليفرح المسلم بما يناله أخوه المسلم من نعم الله عز وجل، وليسأل الله من فضله، فإن بيده سبحانه خزائن السموات والأرض، وليسع لنيل الفضائل واكتساب الخيرات وتحصيل معالي الأمور كما سعوا فـ«إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير

يعطه، ومن يتق الشر يوقه»[١] والله تعالى لا يخيب مسعى من يجاهد في سبيله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ * ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(1) حديث حسنة الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٢٨٠/٢).

الوقفة الثامنة:

لقد أباح الله تعالى لعباده الزينة، وردَّ على من حرم شيئًا منها من تلقاء نفسه من غير شرع من الله، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

والمرأة بطبيعتها تحب التزين والتجمل والتحلي، فهي تنشأ في الحلية، وتحرص في الغالب على أن تظهر بالمظهر الذي يعجب الأخريات، ولا اعتراض عليها في هذا الأمر ما دامت لم تخالف أمر الله وشرعه، وما دامت محكومة في لباسها وحليتها وزينتها بضوابط الشرع المطهر.

ومن الأشياء التي تتزين بها المرأة اللباس، ولن نتحدث هنا عن بعض الأخطاء والمخالفات الشرعية في اللباس مثل لبس الضيق والشفاف والقصير، وما يشبه ملابس الرجال، وما يشبه ملابس الكافرات، كل هذه المخالفات لن نذكر شيئًا عنها الآن، فهي مما يطول ذكره والكلام عنه.

ولكن سنتحدث عن مخالفة ذكرها الله عز وجل في الآيات بعد

أن ذكر قصة أبينا آدم عليه السلام مع إبليس، وهذه المخالفة هي الإسراف.

قال ا عز وجل: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] وخاب وخسر كل الخسارة من لم يحبه ربه ومولاه عز وجل.

والإسراف من التبذير، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

إن بعض المسلمات تقع في الإسراف الكثير في اللباس، ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال لا الحصر: أن تشتري الثوب الثمين الغالي، الذي يتعدى سعره المئات ويدخل في الآلاف لتلبسه ليلة واحدة من ليالي مناسبات الأفراح، أو لتلبسه بعض ليلة ثم لا تلبسه مناسبة أخرى، لأنه قد رئي عليها.

وهذا إسراف ولا شك، وعلى الأخت المسلمة أن تتذكر أن هناك أعدادًا كبيرة من المسلمين لا يجدون ما يلبسون ويسترون به سوءاتهم وعوراتهم، ولا يجدون ما يتقون به البرد القارس من لباس أو

غطاء أو مطعوم أو مشروب، وهم بأمسِّ الحاجة إلى بعض قيمة نان من هذه الفساتين الغالية، لا ليشتروا بها شيئًا يتجملون به، ولكن ليسدوا جوعتهم، أو ليستروا به سوءتهم، فهل يكون من اهتمام الأخت المسلمة الكريمة أن تتفقد مثل هؤلاء المحتاجين، وتسعى لإيصال بعض ما تجود به نفسها إليهم؟

إن قيمة فستان واحد من فساتين الأفراح لتكفي طعامًا ولباسًا وغطاء لعدد من الأسر الفقيرة مدة ليست بالقصيرة، فهل تزيد المسلمة من اهتمامها بإخوانها المسلمين؟ وهل تحس بإحساسهم وتشعر بشعورهم؟ أم أنها لا تبالي إلا بنفسها وزينتها وما يجذب أنظار الأخريات إليها، ويجعلها تحوز على إعجابهن دون رحمة تاجين واهتمام بشؤونهم وسعي لسد بعض حاجتهم وخلتهم، وحاشا أن تكون المسلمة كذلك، وهي تعلم قول النبي ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم» رواه البخاري ومسلم [1].

وقوله أيضًا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم

---

(1) البخاري كتاب الأدب/ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: (٤٢٦/١٠) وباب رحمة الناس والبهائم (٤٣٨/١٠) ومسلم كتاب الفضائل: باب رحمة النبي ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك (١٨٠٩/٤).

مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم [١].

إن المسلمين في عدد من البلاد محتاجون، ويتعرضون لحرب إبادة، ويتعرضون لحملات التنصير المكثفة لإخراجهم من الإسلام: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] وما وضع المسلمين في البوسنة والهرسك أو في الصومال وإرتيريا، أو في كشمير وغيرها عن أذهاننا ببعيد. فلتحرص المسلمة على الإنفاق في سبيل الله عز وجل بدلاً من الإسراف في الملبس وغيره، فإن الذي ينفق في سبيل الله هو الذي يبقى للإنسان حقًّا حيث يجده أحوج ما يكون إليه، وهو مال الإنسان في الحقيقة، أما ما يخلفه وراءه فليس بماله وإنما هو مال وارثه.

ولقد قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله. ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه، قال النبي ﷺ: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر» رواه البخاري [٢].

---

(1) مسلم كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٩٩٩/٤-٢٠٠٠).

(2) البخاري: كتاب الرقاق/ باب ما قدم من ماله فهو خير له =

ويقول عليه الصلاة والسلام: «يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس» رواه مسلم [1].

ومعنى قوله: فاقتنى: أي ادخر لآخرته.

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت» رواه مسلم [2].

إن كثيرًا من المسلمين محتاجون في عدد من البلاد الإسلامية، كما أن هناك عددًا من الأسر المحتاجة ممن هم قريبون منا وفي مجتمعنا، فلتحرص المسلمة على أن تساهم في سد احتياج المحتاجين قدر المستطاع بدلاً من التبذير والإسراف المذموم.

ولا يعني هذا ألا تتزين المسلمة للنساء، ولا أن تترك لبس الملابس الجميلة الجيدة، ولكنه يعني أن تقتصد المسلمة في ذلك، وألا =

(٢٦٠/١١).

(1) مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٣/٤).

(2) مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٣/٤).

تصرف المال كله فيما لا يعود عليها وعلى المسلمين بالفائدة: إنه يعني أن تلبس المرأة من اللباس الطيب مما أحله الله عز وجل دون إسراف، فالله لا يحب المسرفين، وليكن من همَّ المسلمة مع اهتمامها بشأن المسلمين المحتاجين في الداخل أو في الخارج، أن تبذل شيئًا من مالها في المشروعات الخيرية النافعة كمشروع توزيع الكتاب والشريط الإسلامي وجماعات تحفيظ القرآن الكريم وجمعيات البر الخيرية، ولجان مساعدة الراغبين في الزواج، ومكاتب الدعوة الإسلامية، ومكاتب توعية الجاليات وغيرها من المشروعات التي تحتاج إلى دعم المرأة مع دعم الرجل، فالمال هو كما يقال عصب الحياة، والإنسان قد لا يستطيع أن يعمل كثيرًا من الأعمال التي يريدها ويرى أهميتها إلا إذا كان لديه مال ينفقه، وما لم يكن ذلك فإن كثيرًا من مشاريع الخير قد تتوقف ولا تستطيع الاستمرار.

ولتتذكر المسلمة - بعد كل هذا - قول الرسول ﷺ «يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» رواه مسلم (١) وفي الحديث الآخر: «يا معشر النساء! تصدقن ولو

(1) مسلم: كتاب الإيمان/ باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات. وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق: ١.

من حليكن، فإنكن أكثر أهل جهنم يوم القيامة» رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما [(١)].

وأذكِّر بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وبقوله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ * ﴾[محمد: ٣٨].

إن المال الذي بأيدينا هو مال الله تعالى، فأنفقوا من مال الله الذي آتاكم ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧].

إن كل واحد منا قد جاء إلى هذه الدنيا لا يملك شيئًا، وسيخرج منها بدون شيء إلا الحنوط والكفن وصالح العمل، والإنسان إذا مات يتبعه ثلاثة، أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى

(1) وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٧/٦).

واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله [(١)].

إن الشح والحرص على الدنيا هما اللذان قد يمنعان الإنسان أحيانًا من الإنفاق في سبيل الله: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * ﴾ [التغابن: ١٦] وماذا ينفع الإنسان ماله عند الموت؟

وفــي قــبض كــف الطفــل عنــد ولادة
دليـل علـى الحـرص المركـب فـي الحـي
وفــي بــسطها عنــد الممــات إشــارة
إلا فاشــهدوا أنــي خرجــت بــلا شــي

ويقول آخر:

لعمــرك مــا يغنــي الثــراء عــن الفتــى
إذا حــشرجت يومًــا وضــاق بهــا الــصدر

ثمرة المعرفة:

وبعد هذه الوقفات أذكر بأن المهم ليس هو السماع والمعرفة والعلم فحسب، وإنما المهم هو العمل والتطبيق فهذا هو الذي يفيد حقًا.

([1]) الحديث: متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

إن المسلم إذا علم أمرًا واجبًا عليه ولم يعمل به كان علمه ذلك وبالًا عليه.

وعـــالم بعلمـــه لـــم يعلمـــن
معـــذب مـــن قبـــل عبـــاد الـــوثن

لقد كان لسلفنا الصالح رحمة الله عليهم أجمعين مواقف رائعة تدل على سرعة امتثال أمر الله والعمل به، وما أروع مواقف المؤمنين الصادقين إذا سمعوا صوت الداعي إلى الخير !! لقد كانوا يستجيبون استجابة فورية، فهؤلاء نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عندما بلغهن أمر الله عز وجل بالحجاب بادرن به دون تباطؤ ولا تأخر ولا تثاقل.

تقول أم سلمة رضي الله عنها مبينة موقف أولئك الصحابيات المؤمنات الصادقات عند نزول آية الحجاب: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها[1].

([1]) اقتصاد العلم العمل: (١٩٠).

فلنكن هكذا جميعًا رجالاً ونساءً عند أوامر الله عز وجل، ولنبادر بالعمل والتنفيذ والتطبيق، ولا يكن همنا إنما هو السماع فحسب دون أن يكون لما نسمع أو نقرأ أثرًا على سلوكياتنا، فإن ما يسمعه الإنسان إما أن يكون حجة له أو حجة عليه، ولقد كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم يسألها، فقالت: أي بني هل عملت بعد ما سمعت مني؟ فقال: لا، يا أمه فقالت: «يا بني! فبم تستكثر من حجج الله علينا وعليك»[1].

والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن

---

(1) اقتصاد العلم العمل: (١٩٠).

نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللهم اجعل مآلنا إلى جناتك جنات النعيم، وأعذنا يا مولانا من عذاب الجحيم.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الخاتمة

وبعد هذا المشوار أوصي نفسي وكل مسلم ومسلمة بتقوى الله تعالى، فإنها خير الزاد، وهي التي تدفع إلى الالتزام الحق بأمر الله تعالى وأمر رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وآمل ممن يطلع على هذه الرسالة، ويجد فيها خطأً أن يعلم أنه غير مقصود، وأن يتكرم بإبدائه لي، حتى أتمكن بإذن الله من تلافيه مستقبلاً، وله مني خالص الشكر والدعاء بأن يجزيه الله خيرًا، فالمؤمنون نصحة، والمؤمن مرآة أخيه، ورحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه/ عبدالله بن سليمان بن محمد المرزوق

في آخر ساعة من يوم الثلاثاء

الموافق: ١٥/ ١١/ ١٤١٤هـ

القصيم / بريدة.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- صحيح الجامع الصغير للألباني.

٥- تفسير ابن كثير.

٦- كتاب العلم لأبي خيثمة.

٧- اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي.

٨- القصيدة النونية لابن القيم.

٩- مجمع الحكم والأمثال. أحمد قبش.

١٠- رسالة إلى حواء. محمد رشيد عويد.

١١- رسالة: أختي المسلمة احذري الذئاب. سالم العجمي.

الفهرس